المختار ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وهي عند الحكماء بناء على ما ذهبوا اليه من القول بالايجاب واعتبار استعداد
القوابل ملكة تمنع الفجور تحصل من الصفة النفسانية ابتداء بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات فان الزاجر عن
المعصية والداعي الى الطاعة وبما يتأكد ترسخ هذه الصفة فيهم بتتابع الوحي اليهم بالاوامر الداعية الى ما ينبغي و
النواهي الزاجرة عما لا ينبغي والاعتراض على ما يصدر عنهم من الصغائر سهوا او عمدا عند من يجوز بعدها وترك
الاولى فان قيل فان الصفات النفسانية تكون في ابتداء حصولها احوالا اي غير راسخة ثم تصير ملكات اي
راسخة في محلها بالتدريج وقال قوم العصمة تكون خاصية في نفس الشخص او في بدنه تمنع بسببها صدور الذنب عنه
فيكلف به اي بهذا القول انه لو كان صدور الذنب كذلك اي ممتنعا لما استحق المدح بذلك اي بترك الذنب اذ لا مدح
ولا ثواب بترك ما هو ممتنع لانه ليس مقدورا ولا داخلا تحت الاختيار وايضا فالاجماع منعقد على انهم اي الانبياء
عليهم الصلوة والسلام مكلفون بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنعا عنهم لما كان الامر كذلك اذ لا
تكليف بترك الممتنع ولا ثواب عليه وايضا فقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي يدل على مماثلتهم لسائر
الناس فيما يرجع الى البشرية والامتياز بالوحي لا غير فلا يمتنع صدور الذنب عنهم كما صدر عن ساير البشر

المقصد السابع في عصمة الملائكة قيل فيها وجهان الاول ما حكى الله عنهم من قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا يخفى ما فيه من وجوه المعصية وهي اربعة اذ فيه غيبة
لمن يجعله الله خليفة بذكر مثالبه وفيه ايضا العجب بتزكية النفس بذكر مناقبها وفيه ... على الله تعالى
انهم قالوا ما قالوا من نسبة الفساد والسفك رجما بالظن اذ لا يليق بحكمة الله تعالى الاذن في اغراء بني ادم عليه الصلوة
والسلام ان يطلع اعداءهم على عيوبهم وانبائها الظن في مثله غير جائز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وفيه ايضا
انكار على الله تعالى فيما يفعله وهو من اعظم المعاصي الوجه الثاني ان ابليس عاص بترك السجود حتى صار مطرودا
ملعونا وهو من الملائكة بدليل استثنائه منهم في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وبدليل ان قوله
تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا قد تناوله والا لما استحق اللوم وقد قيل له ما منعك الا تسجد اذ امرتك والجواب
عن الوجه الاول ان قولهم اتجعل استفسار عن الحكمة الداعية الى خلقهم لا انكار في خلقهم والغيبة اظهار مثالب المغتاب
وذلك انما يتصور لمن لا يعلم والله سبحانه عالم بجميع الاشياء ما ظهر منها وما بطن فلا غيبة هناك وكذلك التزكية
اظهار مناقب النفس فلا يتصور بالنسبة الى الله تعالى ولا رجم بالظن وقد علموا ذلك بتعليم الله تعالى اذ قد تكون فيه
حكمة لا نعرفها او بغيره كما انهم رأوا ذلك من اللوح المحفوظ والجواب عن الوجه الثاني ان ابليس كان من الجن لقوله
تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وصح الاستثناء وتناوله الامر للتغليب اي لتغليب الكثير على القليل في اطلاق
الاسم كما عرفت في موضعه وكون طائفة من الملائكة مسمين بالجن على ما قيل فلا يكون في كونه من الجن منافيا لكونه

من

من الملائكة خلاف الظاهر لان المتبادر من لفظ الجن ما لا يدخل تحته الملائكة مع انه ذكره اي ذكر كونه من الجن
في معرض التعليل لاستكباره وعصيانه كما ينبئ عنه نظم الاية فيأباه اي يأبى كونه من الملائكة لان طبيعة الملائكة لا
تقتضي المعصية او يأبى كون الجن اسما لطائفة من الملائكة ولنا التمسك بالايات الدالة على عصمتهم نحو قوله تعالى لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون اذ يعلم منه انهم لا يعصون
والا لحصل الفتور في التسبيح وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم اي فلا يعصون ويفعلون ما يؤمرون والجواب
انما يتم ذلك الاستدلال بتلك الايات اذا ثبت عمومها اعيانا وازمانا ومعاص حتى يثبت بها ان جميعهم مبرؤون
عن جميع المعاصي في جميع الازمنة ولا قاطع فيه اي في ثبوت هذا العموم لا نصا ولا اثباتا بل لا دلالة عليه ظنية وان الظن
لا يغني شيئا من المسائل التي يطلب فيها العلم واليقين عن الحق شيئا المقصد الثامن في تفضيل الانبياء
على الملائكة لا نزاع في انهم افضل من الملائكة السفلية الارضية انما النزاع في الملائكة العلوية السماوية فقال
اكثر اصحابنا الانبياء افضل وعليه الشيعة واكثر الملل وقالت المعتزلة وابو عبد الله الحليمي والقاضي ابو بكر منا
الملائكة افضل وعليه الفلاسفة احتج اصحابنا بوجوه اربعة الاول قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فقد امر بالسجود له وامر الادنى بالسجود للافضل هو السابق الى الفهم وعكسه على خلاف الحكمة لان السجود اعلى
انواع الخدمة واخدام الافضل للمفضول مما لا يقبله العقول واذا كان ادم افضل منهم كان غيره من الانبياء
كذلك اذ لا قائل بالفصل لا يقال السجود يقع على انحاء فلعله لم يكن سجود تعظيم له اذ يجوز ان يكون سجودهم
لله تعالى وادم كالقبلة لهم وعلى تقدير كونه لآدم عليه الصلوة والسلام جاز ان يكون عرفهم في السجود كونه
قائما مقام السلام في عرفنا فلا يكون غاية في التواضع والخدمة لان هذه قضية عرفية يجوز اختلافها باختلاف
الازمنة وايضا جاز ان يكون امرهم بالسجود ابتلاء لهم ليتميز المطيع منهم عن العاصي فلا يدل على تفضيله عليهم
في شيء من هذه الاحتمالات لانا نقول قوله ارأيتك هذا الذي كرمت علي وانا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين يدل على انه اسجاد تكرمة وتفضيل له ويبطل سائر المحتملات اذ لم يتقدم هناك ما يصرح بالتكريم
سوى الامر بالسجود الثاني قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها الى قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما
علمتنا فانه يدل على ان ادم عليه الصلوة والسلام علم الاسماء كلها وهم لم يعلموها والعالم افضل من غيره لان الاية
سيقت لذلك ولقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الثالث ان للبشر عوائق عن العبادة
من شهوة وغضب وحاجات شاغلة له وآفاته وليس للملائكة شيء من ذلك ولا شك ان العبادة مع
هذه العوائق ادخل في الاخلاص واشق فيكون افضل لقوله عليه الصلوة والسلام افضل الاعمال احمزها
اي اشقها فيكون صاحبها اكثر ثوابا عليها الرابع الانسان مركب من الملك لا عقل بلا شهوة

Copyright © King Saud University